

بغير احتشام وألبسوه عوضاً عنه رداءً قزمياً ممزقاً ووسخاً، وحتى يعرضوه لهزأ الجموع وضعوا على رأسه إكليلاً مظفوراً من الشوك كانت أطرافه حادة جداً وقوية فغرزوها في رأسه بعنف شديد فدخلت حتى الجمجمة والأذنين وحتى العينين. وبدلاً من الصولجان وضعوا قصبه في يده اليمنى ورموا أخيراً على كتفيه رداءً بنفسجياً شبيهاً بالغفارة المستعملة في الكنيسة لأن الملوك كانوا يستعملون أيضاً هذا اللباس دلالة على رفعتهم.

واجتمع جميع الجنود بحضرة رؤساء الكهنة والفريسيين ووضعوا معلمنا الإلهي في الوسط وقذفوه بجميع أنواع سخريتهم. كان البعض يقول له: سلام يا ملك اليهود! والآخرين يصفعونه والبعض الآخر بالقصبه على رأسه وآخرون يغطون وجهه ببصاقهم القرف والجميع يُشبعونه إهانات.

وجده بيلاطس بحالة يُرثى لها وظن أن منظره هذا بإمكانه أن يحرك قلب أعدائه الأشد ضراوة. فجعله يطلّ من نافذة المحكمة وقال لهم: هوذا الرجل! أليس هو منهوك جداً ولم يبقَ لديكم سبباً للخوف منه؟ ولكن عوضاً أن يحرك منظره شفقتهم، صاح هؤلاء الناس العديمي القلب والعدل: إصليه إصليه!

ولدى رؤيته سجدت له العذراء الكلية القداسة وعبدته كإله. وفعل مثلها الملائكة حراسها والقديس يوحنا والمريمات بينما هي كانت تقول للأب الأزلي وبالأخص لابنها كلمات سامية ممثلة احترام وشفقة لا يمكن أن تخرج إلا من قلب

جسد المخلص بدون إهراق دم جديد غير الذي سكبته مع دموعها. لقد غيّر الألم ملامح وجهها حتى إن القديس يوحنا والمريمات لم يعودوا يعرفون تقاطيعه. كما كان أيضاً التعبير عن ألم نفسه مستحيلاً. لا نستطيع التوصل إلى فهم هذه الأشياء مع أسرار الألوهية إلا في السماء حيث يُكتف عنها من أجل مجد الابن والأم معاً.

بعد الجلد حلّ الجلادون وثاق سيدنا يسوع المسيح عن العامود بوقاحة وأمروه أن يأخذ قميصه وهم يقذفونه بشئاتم جديدة. ولكن أحد الأتباع بتحريض من إبليس خبأ له القميص بقصد تطويل خزيه. انتهت العذراء الكلية القداسة لهذه الحيلة الجهنمية وأمرت لوسيفورس بالخروج من هذا المكان مع زمرة كما أمرت الملائكة بوضع القميص في متناول سيدهم. فنسب الجهنميون هذه المعجزة إلى السحر. وكان سيدنا يسوع المسيح بحاجة إلى اللباس، وكان يتألم من البرد أيضاً، ولكن بقدر ما كانت حرارة رحمته كبيرة بقدر ذلك كان يريد أن يتحمل أكثر فأكثر أيضاً.

وهذا المزيد من الألم أعطي له بدون تأخير، لأن غيظ اليهود كان قاسياً إلى درجة أنهم استنبطوا له عذاباً آخر كان أشدّ وقعاً من كل عذابات الآلام. ذهبوا إلى بيلاطس في المحكمة وقالوا له: هذا المُضِلُّ أراد بخز عيالاته أن يُعتبر كملك. فاسمح لنا إذاً أن نلبسه شعائر الملوكية اقتصاصاً من كبريائه.

وما أن أذن لهم حتى اقتادوا الملك الإلهي إلى المحكمة ونزعوا عنه لباسه